

أضواء البيان

@ 27 @ .

ومفهومه : أن من لم يؤثر الحياة الدنيا ، ولم يحسب أن ماله أخذه ، لن يطغيه ماله ولا غناه ، كما جاء في قصة النفر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع من بني إسرائيل . .
وقد نص القرآن على أوسع غنى في الدنيا في نبي ﷺ سليمان ، آتاه ﷻ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ومع هذا قال : { إِنْ زَيْتِي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّهُنَّ عَلَيَّ } . . .

وقصة الصحابي الموجودة في الموطأ : لما شغل ببستانه في الصلاة ، حين رأى الطائر لا يجد فرجة من الأغصان ، ينفذ منه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله : إني فتنت ببستاني في صلاتي ، فهو في سبيل الله) فعرفنا أن الغنى وحده ليس موجباً للطغيان ، ولكن إذا صحبه إيثار الحياة الدنيا على الآخرة ، وقد يكون طغيان النفس من لوازمها لو لم يكن غنى . إن النفس لأماره بالسوء . وأنه لا يقي منه إلا التهذيب بالدين كما قال تعالى : { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَآكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ } . . .

وقد ذكر عن فرعون تحقيق ذلك حين قال : { أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَآذِهِ الْأَرْضُ نَهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ، وكذلك قال قارون { إِنْ زُمَّتْ أُوْتِيَتْهُ عَلَيَّ عِلْمٌ عِنْدِي } ، وقال : ثالث الثلاثة من بني إسرائيل (إنما ورثته كابراً عن كابر بخلاف المسلم) إلى آخره . فلا يزيده غناه إلا تواضعاً وشكراً للنعمة ، كما قال نبي ﷺ سليمان { قَالَ هَآذِهِ مِمَّنْ فَضَّلَ رَبِّي لِيْ لِيَبْلُوَنِيْ أَءَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنِّيْ أَزِيدُهُ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ زَيْدِيْ غَنِيٌّ كَرِيْمٌ } ، وقد نص في نفس السورة أنه شكر ﷻ { فَتَتَّبِعْهُمْ مِّنْ حَيْثُ شِئْتَ } وقال ربِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَنِّيْ وَعَلَيَّْ وَالْأَلَدَيْنِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } . . .

وفي العموم قوله : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَنِّيْ وَعَلَيَّْ وَالْأَلَدَيْنِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِيْ ذُرِّيَّتِيْ إِنِّيْ تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } . . .

وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب المال الوفير فلم يزددهم
إلا قرباً لله ، كعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأمثالهم ، وفي
الآية